ما دلالة تهميش ابن سلمان لدور ابن عبد الوهاب



عاد محمد بن سلمان للتلميح إلى مضي السعودية قدما في التخلي تدريجيا عن نهجها الديني المتبع منذ عقود.

في مقابلته المثيرة للجدل مع مجلة "ذي أتلانتيك" الأمريكية، تحدث ابن سلمان عن مراجعة جارية للأحاديث النبوية بزعم أن الأحاديث الصحيحة والمثبتة عن النبي عليه السلام لا تتجاوز المئة حديث.

في المقابلة ذاتها، همّش ابن سلمان دور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي كان يُنظر إليه على أنه شريك في قيام السعودية، ووصفه بأنه مجرّد "داعية فقط"، من ضمن دعاة عملوا برفقة السياسيين والعسكريين في الدولة السعودية الأولى.

تحدث ابن سلمان أيضا بوضوح عن تهميش دور هيئة كبار العلماء في اتخاذ القرارات المصيرية التي تحتاج إلى شرعنة فقهية لها.

وقال إن الشريعة تنص أن رأسس المؤسسة الإسلامية هو الحاكم وليس المفتي، مضيفا أن وظيفة الإفتاء والعلماء هي "تقديم المشورة للملك"، وأن كلمة الفصل في أي أمر تعود للملك فقط.

وبرغم ذلك، فقد أيدت الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء تصريحات ابن سلمان، واحتفت بها، معتبرة أنها "توضح النهج الراسخ للمملكة في سيرها على نهج الكتاب والسنة دون تعصب مذهبي".

اقرأ أيضا: ابن سلمان: لم أقرأ مقالا لخاشقجي.. "والريتز" ليست فكرتي

تمهيد بـ"يوم التأسيس":

في نهاية كانون الثاني/ يناير الماضي، أعلنت السعودية إقرار ما يعرف بـ"ذكرى يوم التأسيس"، على أن يكون مناسبة وطنية في كل عام، موضحة أن يوم 22 شباط/ فبراير من كل عام سيشير إلى هذه الذكرى التي تعود للعام 1727 ميلادي.

وقالت الحكومة السعودية إن هذا التاريخ يشير إلى تأسيس الدولة السعودية الأولى على يد الإمام محمد بن سعود، في تجاهل تام للرواية المتبعة لعقود مضت بأن تأسيس الدولة كان في العام 1944 عندما تحالف ابن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الكاتب عبد الله بن بجاد العتيبي، قال إن إعلان يوم "التأسيس" هو بمثابة "انتصار الدولة لتاريخها، وإعادة الأمور إلى نصابها".

وتابع في مقالة بصحيفة "الشرق الأوسط"، بأن السعودية عانت من "انحياز بعض المؤرخين التقليديين عاطفيا للدعوة أو لشخص الداعية، وليس للدولة"، مضيفا أن بعض كتابات المؤرخين سابقا "كانت خاضعة لضغوط هائلة من مراكز قوة في المجتمعات تختلف بحسب كل لحظة تاريخية".

وعلّق الكاتب تركي الحمد بأن اختيار "يوم التأسيس" هو "تأكيد على مدنية الدولة في جذورها الأولى، فقد جاء الشيخ إلى الدرعية مستنصرا وليس داعما أو مؤسسا، وهذا يحل كثيرا من الإشكالات حول طبيعة الدولة".

وأوضح في تغريدة أن "حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التطهرية (الوهابية)، أيديولوجيا دينية ساعدت الدولة السعودية الأولى في التوسع لا شك، وبعد ذلك انتهت مهمتها التاريخية، بمثل ما انتهت التطهرية المسيحية التي كانت أيديولوجيا بريطانيا وأمريكا حين التأسيس، واليوم انتهت هذه الضرورة وأصبحت جزءا من التاريخ".

حديث ابن سلمان وعدد من الكتاب المؤيدين له يأتي مخالفا للرواية التاريخية المعتمدة في السعودية حول دور ابن عبد الوهاب، إذ تشير كتب التاريخ المدرسية إلى أن الشيخ السلفي له الفضل مناصفة مع ابن سعود في قيام الدولة.

وفي مقطع سابق له، قال عضو هيئة كبار العلماء الشيخ عبد الله المنيع، إنه كان شاهدا على حديث للملك خالد بن عبد العزيز، قال فيه إنه أكد لإخوته ومن بينهم الملك سلمان، أنه لولا وقفة ابن عبد الوهاب، لظلّ محمد بن سعود تحت عباءة أمير الدرعية حينها "ابن معمّر".

التبرؤ غير وارد:

المؤرخ والكاتب الصحفي البريطاني المهتم بشؤون الشرق الأوسط، أندرو هاموند، استبعد أن يجري ابن سلمان مراجعات علنية يتبرأ خلالها من النهج الديني الذي سارت عليه المملكة منذ عقود.

وقال هاموند في تصريحات لـ"عربي21"، إن ابن سلمان سيلتزم بالأسطر العريضة التي وضعها، بأنه "لا يوجد عالم دين كامل، والزمن قد تغير، وآراء ابن عبد الوهاب ليست مقدسة".

وتابع بأن ابن سلمان سينأى بنفسه عن استخدام مصطلح "الوهابية" الذي يرفضه أيضا أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كونه يستخدم كأداة تحريض من قبل خصومهم.

ورأى هاموند أن ابن سلمان سيزيد من دعوته إلى حصر الفتاوى بالاستناد إلى القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة المسندة، وتجاهل الفتاوى الصادرة عن شيوخ المدرسة الوهابية، بحسب قوله.

هل تُلغى هيئة كبار العلماء؟:

تهميش محمد بن سلمان لدور هيئة كبار العلماء، وأنه غير ملزم بفتاويهم، دفعت مغردين إلى التساؤل عن مصير الهيئة التي دائما ما كان ملوك السعودية ينظرون إليها بتبجيل كبير.

أندرو هاموند قال لـ"عربي21"، إن "العلماء سيقولون ما يريده ابن سلمان، وسيوافقونه على كافة قراراته، وبالتالي فلا حاجة له للاستغناء عنهم، وتعويضهم برجال دين آخرين".

وبرغم ذلك، فإن هاموند لم يستبعد أن يقوم ابن سلمان بضخ دماء جديدة ومن مدارس شرعية لم يسبق لها دخول هيئة كبار العلماء.

وقال إن الملك عبد الله كان أول من سنّ هذا الأمر، إذ شهد عهده دخول مشايخ من غير السلفيين التقليديين إلى الهيئة.

فيما قال الباحث عبدالله الشمري، إن ابن سلمان "يحاول التخلص من تركة الدعوة الوهابية بتياراتها الثلاثة: القتاليّة (داعش)، والسرورية التي تأتي في منطقة الوسط، والجاميّة".

وتابع بأن تجنيس السعودية لرجال دين عرب يعملون برفقة الوزير السابق محمد العيسى في رابطة العالم الإسلامي التي تتخذ مواقف مغايرة منفتحة على الغرب أكثر من "كبار العلماء"، هي "خطوة داعمة لهم ليتولوا مهام تحسين وجه النظام السعودي من الجانب الديني، وإظهار أنه نظام يؤمن بالتسامح الديني، ويتقبل الآخر بصرف النظر عن دينه، ويحارب التعصّبات الدينية".

"البحوث والإفتاء":

تواصل "الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء"، العمل برغم أن العديد من فتاويها المعتمدة والمنشورة على موقعها الرسمي، تتعارض مع الانفتاح الحاصل في السعودية، ومع تلميحات ابن سلمان إلى وجود مزيد من الانفتاح مستقبلا.

وهذا جانبا من الفتاوى الصادرة عن "الإفتاء" السعودية، والتي لم يعد معمولا بها، إلا أنها لا تزال منشورة على الموقع الرسمي.

فعلى سبيل المثال، يبقي الموقع على فتوى تحريم التصوير بأي شكل من أشكاله، واعتباره "كبيرة من كبائر الذنوب"، بالإضافة إلى تحريم تعليق الصور رغم أن السعودية بمؤسساتها الرسمية لا تلتزم بأي قيود ضد التصوير، وتعلق صور الملك وابن سلمان في الدوائر الحكومية، والشوارع.

وقال ابن سلمان في محاولة لنقده منهج ابن عبد الوهاب "نهجا واحدا" في السعودية، بأنه "لا يمكن لشخص الترويج لأحد هذه المذاهب ليجعلها الطريقة الوحيدة لرؤية الدين في السعودية"، ورغم ذلك فإن موقع "الإفتاء" يبقي على فتوى تصف الصوفية بأنها "طائفة ضالة"، برغم التواجد النسبي للصوفيين في منطقة الحجاز غرب المملكة.

إلا أن الموقع ذاته حذف فتوى قديمة متعلقة بابن سلمان شخصيا، ففي العام 2010، كان ابن سلمان حينها مستشارا خاصا لأمير الرياض (والده الملك سلمان)، وبعث سؤالا للجنة الإفتاء حول حكم دمج الذكور والإناث في الصفوف الابتدائية بالمدارس، وأجابت اللجنة التي يترأسها المفتي عبد العزيز آل الشيخ، بعدم جواز ذلك.

وبعد توليه منصب ولاية العهد، قام موقع "البحوث العلمية والإفتاء" بحذف سؤال ابن سلمان بشكل تام، إلا أنه أبقى على فتاوى أخيرة لم تعد المملكة تعمل بها.